تكنولوجيات

وسائط جديدة وإشكاليات قديمة

التفكير في عُدّة التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية

في المنطقة العربية

د. نصر الدين لعياضي

Theoretical and Methodological Approaches to Social Network Sites in the Arab Region

Dr Nacer-Eddine Layadi

Associate professor- College of Communication, University of Sharjah

Abstract : This paper critically looks at the studies that investigated the Social Network Sites in the Arab region asking whether they made a practical addition to the field of information and Communication sciences or not. The paper tried to lift the ambiguity of the variety of names , as well as the most important theoretical and methodological approaches used by these studies highlighting its scientific limitations. The paper discussed the most important concepts used by these studies such as : Interactivity, Citizen Journalism, Public Sphere and Social Capital and showed the problems of using them because each concept comes out of a specific view to these websites. The importation of these concepts from a cultural and social context to an Arab Islamic environment raises so many issues and problems.

Key Words : Social Network Sites, Interactivity, Citizen Journalism, Public Sphere Social Capital, New Media

Scanned by DocumentScanner | Lufick

ملخص

يتناول هذا البحث بالنقد الدراسات التى تطرقت إلى مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية متسائلا عن اضافاتها العلمية في علوم الإعلام والاتصال. فحاول أن يرفع اللبس عن تعدد الأسماء التى حاولت أن تعبر عنها. واستعرض أهم المقاربات النظرية والمنهجية التى اعتمدت عليها مبينا حدودها العلمية. ونقاش أهم المفاهيم التى استخدمتها هذه الدراسات مثل : التفاعلية، وصحافة المواطن، والفضاء العمومى، ورأسمال الاجتماعى. ويبيّن الرهانات المعرفية لاستعمالها لأن كل مفهوم ينبثق عن تصور معين لهذه المواقع. ولأن نقل هذه المفاهيم من سياق اجتماعى وثقافي إلى بيئة عربية اسلامية يطرح الكثير من الإشكاليات.

الكلمات المفتاحية : مواقع الشبكات الاجتماعية، التفاعلية، صحافة المواطن، الفضاء العمومي، راسمال الاجتماعي، الميديا الجديدة.

تزايد الاهتمام العلمي بمواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية خلال العقد الأخير. وإن كان هذا الاهتمام يساير انشغال البحث العلمي في العالم بموقع تكنولوجية الاتصال في المجتمع أو موقع المجتمع في تكنولوجية الاتصال الحديثة إلا أنه يستجيب لمجموعة من الحقائق المرتبطة بالتطورات التي عاشتها وتعيشها هذه المنطقة من العالم. ويمكن أن نوجزها في النقاط التالية :

- تطور البنية القاعدية التكنولوجية التي سمحت باتساع الاستخدام الاجتماعي لشبكة الانترنت، مما سمح بارتفاع عدد

Scanned by DocumentScanner | Lufick

مستخدمي موقع الفيسبوك ليصل إلى 55 مليون مشاركا. وبزيادة عدد المشتركين في موقع شبكة تويتر لتبلغ 3. 7 مليون مشتركا[1].

- تسارع وتيرة التغيير السياسي الحاصل في أكثر من بلد عربي منذ مطلع 2011، والذي اتسم بتوتر العلاقات الاجتماعية واللجوء إلى العنف لحسم الصراع من أجل الوصول إلى السلطة. فهذا التغيير السريع شجع البحث في مواقع الشبكات الاجتماعية من زاوية التفكير العلمي في " الديمقراطية الرقمية"، [2] و"النضال الرقمي".

- اتساع وطأة "الوعي الشقي" في صفوف قطاع واسع من المثقفين في المنطقة العربية، الذي يتجلى في التعارض بين إكراهات الواقع المادي الذي يفرض الاستفادة من التطور المادي كثمرة الحضارة الغربية، والخوف من الذوبان فيها. وهذا أدى إلى مناقشة

---

[1] - حسب التصريح الذي أدلى به فادي سالم مدير برنامج الحوكمة والتجديد في كلية دبي للحكومة في التصريح الذي أدلى به لموقع BisnessIntelligence Midle East يوم 2013/8/7، أنظر الموقع http : //www. bi-me. com/main. php?id=62271&t=1 هذا مع العلم أن تقرير كلية دبي الحكومية أكد أن عدد مستخدمي موقع الفيسبوك تضاعف خلال السنتين الأخيرين، إذ قفز من 16 مليون مستخدم نشيط في جوان 2010 إلى 49 مليون في مارس 2013. وبلغ عدد مستخدمي موقع تويتر 2099706 مستخدما نشيطا في نهاية يونيو 2012- أنظر :

Dubai school government(2012) : Social Media in the Arab World : Influencing Societal and Cultural Change ؟, Arab social media report Vo 2, n1, July

[2] - إضافة إلى موقع مجلة Arab Media society الذي يحفل بهذه البحوث والمقالات العلمية، أنظر على سبيل المثال الى البحوث الحديثة التالية :

-Johanne Kübler (2011) : Les révolutions arabes et le web 2. 0; Tunisie et Égypte: Revue Averroès; Numéro 4-5, Spécial "Printemps arabe",

-Michaël Béchir Ayari (2011) : Non, les révolutions tunisienne et égyptienne ne sont pas des « révolutions 2. 0 »; Mouvements Volume2 (n° 66)- pp (56-61)

- Jeffrey Ghannam (2011) : Social Media in the Arab World : Leading up to the Uprisings of 2011, A Report to the Center for International Media Assistance, retrieved June, 11, 2013 from http : //www. edots. ps/internews/userfiles/CIMA-Arab_Social_Media-Report 1. pdf

- Marc Lynch (2011) : After Egypt : The Limits and Promise of Online Challenges to the Authoritarian Arab State, Perspectives on Politics, Vol. 9, No. 02 pp. 301-310

- Habibul Haque Khondker (2011), Role of the New Media in the Arab Spring, Globalizations, October, Vol. 8, No 5, pp. 675- 679

Scanned by DocumentScanner | Lufick

دور مواقع الشبكات الاجتماعية في حماية القيم والدفاع عن الهوية العربية الإسلامية، أو في تعميق الاغتراب في عالم أصبح سوقا واحدة للسلع المادية والرمزية. . تأججت فيه الحروب والنزاعات المسلحة بشكل أكبر مما عرفته الحرب الباردة (البكري : 2009)، (الحايس : 2012)، (بن عيسى، كانون : 2012).

إن غلبة الهاجس السياسي والهواياتي على البحوث حول مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية لا ينفي بوادر الاهتمام بهذه المواقع في عملية التعليم ضمن أفق " التعليم عن بعد" أو " محو الأمية الإلكترونية" أو في مجال الإدارة والتسويق.

إشكالية البحث :

تثير مراجعة بعض البحوث الأساسية التي اهتمت بمواقع الشبكات الاجتماعية الافتراضية في المنطقة العربية، سواء تلك التي أنجزها باحثون عرب أو أجانب[1] التساؤل عن القيمة المعرفية المضافة التي قدمتها لفهم هذه الشبكات وكيفية اندماجها في الحياة اليومية، وفي فهم المجتمعات العربية الإسلامية. فما توصلت إليه بعض هذه البحوث من نتائج لا يشكل، في اعتقادنا، أرضية صلبة يمكن الاستناد إليها للغوص في عمق العلاقات الاجتماعية، وفهم الاتصال في المجتمعات العربية، وفي تَمثّل السياسية في المنطقة العربية. وذلك لأنها قدمت مجموعة من النتائج الجزئية المتعارضة التي لا تصمد أمام تطور الأحداث في المنطقة العربية، هذا إن لم تخرج عن نطاق" الحس المشترك" Commun Sense. إن التساؤل

---

[1] - يجب الإقرار أن الباحث لم يقم بدراسة مسحية لكل البحوث الخاصة بمواقع الشبكات الاجتماعية، بل اعتمد على مجموعة قصدية منها فقط، سيأتي ذكرها في ثنايا البحث أو في قائمة المراجع.

Scanned by DocumentScanner | Lufick

عن قصور البحث العلمي في فهم مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية يستدعي استبعاد النزعة التبريرية التي تفضي إلى القول أن مواقع الشبكات الاجتماعية الافتراضية في المنطقة العربية تُعَد ظاهرة حديثة، ويصعب رصد جوهرها وأبعادها لأنها مازلت في حالة تغيير وتطور مستمرين. فمن المنطقي أن يتطلب البحث فيها الكثير من الصبر والوقت حتى تتراكم المعارف لتلّم بمختلف جوانبها، وتقدم فهما أشملا وأكثر عمقا لها.

نعتقد أن القصور المذكور ناجم عن عدة التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية وتحليلها. وهذا يتطلب منا الوقوف على ما هو عام، أي ما هو مشترك بين المنطقة العربية وبقية مناطق العالم ؛ أي التفكير في منهج التفكير في ظاهرة مواقع الشبكات الاجتماعية وأدواته. والذي يمكن أن نلخصه في السؤال التالي : هل أن المقاربات النظرية وطرائق البحث الكلاسيكية صالحة لدراسة مواقع الشبكات الاجتماعية والافتراضية ؟[1]

إن مناقشة هذا السؤال تستدعي العودة، ولو في عجالة، إلى النقاش الفلسفي والابستمولوجي حول العلاقة القائمة بين التقنية والمجتمع بعيدا عن كل حتمية، خاصة الحتميتين التقنية والاجتماعية. ومراجعة المكتسبات العلمية في مجال البحث عن الشبكات الاجتماعية من جهة، وتتطلب، من جهة أخرى، البحث في

---

[1] - يجيب الباحث Tommaso Venturini عن هذا السؤال بالنفي لاعتقاده أن طرائق البحث الكلاسيكية وجدت في زمن ندرة البيانات عن الظواهر الاجتماعية التي تدرسها، خلافا لفائض البيانات المتوفرة لدراسة الظواهر ذات الصلة بالتكنولوجية الرقمية، انظر :
Tommaso Venturini; Great Expectations méthodes quali-quantitative et analyse des réseaux sociaux;retrieved ; June: 11; 2013 from http : //www. medialab. sciences-po. fr/publications-francais-great-expectations-methodes-quali-quantitative-et-analyse-des-reseaux-sociaux/

Scanned by DocumentScanner | Lufick

خصوصيات المنطقة العربية لفهم بعض الإشكاليات الجديدة التي تثيرها. ومن أجل ذلك قسمنا هذا البحث إلى ثلاثة أقسام أساسية : القسم الأول، خاص بالإشكالية التي يطرحها المسمى : مواقع الشبكات الاجتماعية، والقسم الثاني : خاص بالوسائط الجديدة والإشكاليات القديمة، والقسم الثالث خاص بالمفاهيم والمقاربات النظرية والمنهجية لدراسة هذه المواقع.

الأسماء والأشياء

تزدحم الكثير من المسميات التي تحاول أن تحصر حقل الدراسات التي تتناول مواقع الشبكات الاجتماعية، يمكن أن نذكر منها من باب التوضيح وليس الحصر : الميديا الجديد(New media) والإعلام البديل (Alternative Media) والإعلام الاجتماعيSocial Media)، (Schivinski, Dąbrowski، 2013)، والواب الاجتماعي Social web (ProulxMillerand ، Rueff، 2010، 2)، والواب 2، ومواقع التشبيك الاجتماعي (Social Networking Sites) ، ومواقع التواصل الاجتماعي، (Social Network Sites)، (2010 : Papacharissi)، (2007 : boyd, Elliso) والحوسبة الاجتماعية (Social Computation)، والمحتوى المعمم من قبل المستخدمينUser-generated Content (UGC)، والشبكات الاجتماعية الرقمية (2010 Stenger, Coutant) وتكنولوجية العلاقات (Fauré : 2010)، والشبكات السوسيو رقمية (Rebillard : 2011)

من الخطأ التأكيد أن البحوث التي عالجت موضوع مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية هي وحدها التي تعاني من تضخم المسميات. فالبحث في هذا المجال الحديث كان مفتوحا لكل الاجتهادات التي أفرزت الكم المذكور من التعاريف المختلفة،

Scanned by DocumentScanner | Lufick

وحتى المتعارضة، مما يعسر فهمها، كما هو الشأن بالنسبة للواب 2. فهذا الأخير أخذ شكل الدمية الروسية ذات الأوجه المتعددة. فمن الناحية التقنية يُعرف كمنصة تسمح بنشر المحتويات، ووسيلة لتبادل المعلومات، وعدّة رقمية للتفاعل ؛ أي كمنظومة تقنية تنحصر في علاقة الإنسان بالآلة. بينما يرتكز تعريفه على الصعيد الاجتماعي في طبيعة العلاقة التي يتيحها، والتي تربط المستخدمين بعضهم ببعض. ورغم الصعوبة التي تكتنف محاولة تحديد مضامين هذه المفاهيم إلا أنه يمكن أن نلتمس تطورا محسوسا في رفع اللبس على بعضها وفكّ الاشتباك بين بعضها. كما سنوضح ذلك لاحقا. ن جل هذه المسميات باللغة العربية اقتبست من اللغات الأجنبية التي تنطلق من سياقاتها المعرفية. فمن المفروض أن تتيح ترجمتها نوعا من الحوار، وتسمح باختبارها معرفيا. لكن الترجمة تعاملت، مع أسف، مع هذه المسميات بقليل من الحذر ودون تقديم مستساغها النظري والمعرفي. فاستخدمتها بشكل متداخل. وانتهت إلى التعامل معها كمُرَادِفَات[1].

تحيل الكثير من هذه المسميات إلى سلطة التقنية في التفكير في موقع الشبكات الاجتماعية. ويأخذ توظيفها في البحث العلمي أبعادا إشكالية. فمفهوم "الميديا" الجديدة يترجم إلى اللغة العربية بوسائل الإعلام الجديدة الذي يصعب تحديد الواقع الذي يغطيه. فالترجمة تتجاهل الاندماج والفصل في آن واحد الحاصل بين الجديد

---

[1] - تؤكد بشرى جميل الراوي على التداخل بين مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد، والإعلام البديل، والإعلام الاجتماعي، ومن الممكن إن يحل المفهوم الأول محل الثاني والثاني محل الأول، وهكذا والتفاصيل في ثنايا متن البحث. - أنظر : بشرى جميل الراوي (2012) : **دور مواقع الاتصال الاجتماعي في التغير**، مجلة الباحث الاجتماعي، العراق، عدد 18، ص (94-113)

Scanned by DocumentScanner | Lufick

والقديم في وسائل الإعلام، إلى درجة أن الباحث (Lynch : 2007) أدرج قناتي الجزيرة والحرة التلفزيونيتين ضمن الميديا الجديدة. فهل تملك هاتين القناتين الخصائص ذاتها التي تميز مواقع الشبكات الاجتماعية الافتراضية ! لقد اهتدى بعض الباحثين إلى صيغة للتحايل على إشكالية التي تثيرها صفة القديم والجديد في وسائل الإعلام، فأطلقوا مسمى " الجيل الثاني من وسائل الإعلام [1] على الميديا الجديدة.

وتتم ترجمة الميديا الجديدة بوسائل الإعلام الجديدة عن تصور يقرن للوسيلة الإعلامية بالأداة الناقلة للمضمون الذي يتسم بطابعه الإخباري والإعلامي. بينما يتعدى معنى "الميديا" التعريف البسيط والكلاسيكي الذي رُسخ في أذهان دارسي الإعلام، والذي ينص على أنه : (جهاز تقني يسمح للأشخاص بالاتصال والتعبير عن أفكارهم مهما كانت أشكال هذا التعبير وغاياته) Balle : (1990، 12). ويُطرح على مستوى الوساطة Mediation التي لا يُقْرأ نشاطها انطلاقا من مضمون ما تتداوله أو تتوسطه فقط، بل بالنظر لما تقيمه من علاقات، وتتيحه من معان إضافية لعملية الاتصال. إن هذه العملية (تقوم على التكافؤ بين المتصلين، وعلى الفعل الخطابي المتبادل) (Lochar : 2009)لقد ترتب عن الخلط بين المفهومين التعامل مع مواقع الشبكات الاجتماعية وكأنها وسائل اتصال جماهيرية يُطلب منها القيام بما تضطلع به هذه الأخيرة من أدوار. ويُقيم نشاطها بالسلم ذاته الذي نُقيم به منتجات وسائل الاتصال الجماهيري، مثل الموضوعية، والحياد، والمصداقية ومدى إلزام مستخدمي الشبكات

---

[1] - أنظر :

Holmes David (2005) : Communication Theory Media, Technology, Society - SAGE Publications Ltd

Scanned by DocumentScanner | Lufick

الاجتماعية بمدونات أخلاقية ! لكن وراء الخلط بين المفهومين المذكورين يختفي عدم التمييز بين الإعلام والاتصال. فمجال تدخل وسائل الإعلام الجماهيري Mass media هو الإعلام، بينما مجال تدخل مواقع الشبكات الاجتماعية هو الاتصال. ورغم الترابط بينهما فلا يمكن أن نقر أن علاقتهما هي العلاقة ذاتها التي تجمع الحامل (Communication) والمحمول Information. فالإعلام ذو طبيعة معيارية يروم الحقيقة، بينما يحيل الاتصال إلى الاقتسام والتَّشَارُك والترابط الاجتماعي، وفن التعايش المشترك. (دلتن، 2012، 34) فمشروعية وجود وسائل الإعلام تكمن في مدى التزامها بالموضوعية وتقديم الحقيقة، وفي مسؤولياتها الاجتماعية والأخلاقية، بينما مشروعية مواقع الشبكات الاجتماعية لا تستند إلى هذه المعايير، بل تتجسد في إقامة العلاقات بين الأشخاص لأغراض متعددة : اقتسام تجربة، تبادل المعلومات، تقييم الذات، وإتاحة الفرصة لإقامة صداقات. حقيقة إن مواقع الشبكات تغذى من الإعلام، لكنها تعمل على تغيير حامضه النووي، وفق ما ذهب إليه الصحافي(Benoit : 2008) المختص في تكنولوجية الاتصال ؛ أي الاهتمام بما تثيره الأخبار من ردات فعل ونقاش االندماجها في الخطاب الاجتماع وتوظيفها في بناء الذات. فمواقع الشبكات الاجتماعية يستمد هي أداة لإقامة علاقة اجتماعية، بكل ما تستلزمه من متطلبات، ومادتها في آن واحد.

ويحيلنا، أيضا، تعريف New Media المستساغ لدى قطاع واسع من الباحثين إلى الحصول على المحتوى في أي وقت، وأي مكان، وبأي حامل رقمي والتفاعل والمشاركة المبدعة فيه. ويشير إلى خاصية أخرى، وهي التعميم المتزامن للمحتويات الجديدة الذي لا

Scanned by DocumentScanner | Lufick

يخضع للضوابط القانونية والأخلاقية التي تخضع لها وسائل الإعلام الكلاسيكية (Schivinski, Dąbrowski : 2013). وهذا التعريف، كما هو واضح، عام ويولي الأهمية للإمكانية التقنية للحصول على المحتوى أكثر من عملية التواصل والتغيير الحاصل في انتاج هذا المحتوى، وبالتالي لا يشخص مواقع الشبكات الاجتماعية انطلاقا من خصوصيتها الاتصالية والاجتماعية.

أما مفهوم المحتوى المعمم من قبل المستخدمين UGC، الذي شاع استخدامه، في 2005، فيشمل مختلف أشكال محتوى الوسائط المتعددة التي تكون في متناول الجمهور، والتي أنتجها المستخدمون النهائيون. ويعتقد الباحثان هينلين وكبلان (Kaplan، Haenlein : 2010) أن هذا المفهوم يتطلب الشروط الثلاثة الأساسية التالية، وهي: 1- النشر في موقع الواب أو في مواقع الشبكات الاجتماعية وجعلها في متناول الجمهور أو جمهور محدد. 2- أن يتضمن جانبا من الإبداع، 3- يخرج عن الروتين الذي يفرضه النشاط المهني. وهكذا نجد أن مواقع الشبكات الاجتماعية تفلت من هذه الشروط لأنها تنشر ما يجري في الحياة اليومية بما فيه الروتيني والمهني.

ويقصد بمسمى الميديا الاجتماعي social Media جيل جديد من التكنولوجية الرقمية التي شَبَكت اجتماعيا الأفراد متخذة العديد من الأشكال، ويوحي، ضمنيا، أن وسائل الإعلام الكلاسيكية ليست لها أي صلة بكل ما هو اجتماعي ! وينظر في الغالب إلى الفرق بين الميديا الاجتماعي ووسائل الإعلام الكلاسيكية من زاوية موقع المتلقى وفاعليته. ففي الإعلام الكلاسيكي يظل المرسل مرسلا لرسالة ذات ملامح عامة تسير في اتجاه عمودي نحو جمهور عام وواسع

Scanned by DocumentScanner | Lufick

وقليل التمايز. ويعتقد، عن خطأ، أنه كان ساكنا وسلبيا. بينما المواقع والأدوار تتبدل في الميديا الاجتماعي social Media وتتغير. فالمرسل يتحول إلى متلقي والمتلقى يتحول إلى مرسل في عملية اتصالية متعددة الاتجاهات والتفاعلات. لكن البعض يذهب إلى ما هو أبعد من هذا التشخيص الظاهر ويرى أن فهم المديا الاجتماعية يتطلب إطارا أكبر يتضمن الوحدات الوظيفية السبع التالية : بناء الهوية، النقاش، الاقتسام، الحضور، العلاقات، السمعة Reputation، والمجموعات Groups (Kietzmann ، Hermkens ، McCarthy ، Silvestre : 2011).

ومفهوم الشبكات الاجتماعية ليس وليد التقنية الحديثة، إذ ينسب إلى عالم الاجتماع الألماني، Georg Simmel (1858-1918) الذي رأى أنه يجسد موقف فكري قبل كل شيء، ويستجلي أفق يكشف عن الأشكال العامة للعلاقات الاجتماعية بين الأشخاص أكثر من محتوى ما يتبادلونه. Guichard : (2012). فحصر مواقع الفيس بوك، واليوتوب، وتويتر، وماي سبيس، وسكند ليف في مسمى شبكات اجتماعية فقط يجعلها تتطابق مع مفهوم الشبكات السائد قبل ظهور الانترنت، مثل شبكة العلاقات الأسرية، وشبكة الأصدقاء، وشبكات الحرفيين والمهنيين، وشبكة مناصري الفريق الرياضي الفلاني ويحيد التكنولوجيا أو يجردها من أي تأثير. بينما ارتباط مفهوم الشبكات بالتقنية جعله معطى مجازيا أكثر منه تقنيا لأنه تحول إلى نمط من التفكير وتحليل المجتمعات الغربية التي يُعتقد أنها تتسم بتفكك اجتماعي وتشذر سياسي . Sfez : (1994) (van Loon : 1996).

وهكذا يُرحل مفهوم موقع الشبكات الاجتماعية من الحقل العلمي إلى الحقل الأيديولوجي ويتحول إلى أداة لخلاص المجتمعات من

Scanned by DocumentScanner | Lufick

كل مشاكلها، وليس الاتصالية فقط : أي أنه يقوم بردم الفجوات الاجتماعية والسياسية، ويجلب الديمقراطية. وهكذا تقدم العُدّة التقنية كضابط لكل ما هو اجتماعي وسياسي. إن هذه الرؤية لم تحدث قطيعة مع النظرة التي أطرت الكثير من الكتابات العلمية التي تناولت وسائل الاتصال عبر تاريخها : المطبعة، الإذاعة، التلفزيون، والانترنت، وقدمتها على أنها منقذ البشرية ومجسدة للحرية والديمقراطية والعدالة، وغيرها من المثل الذي ظلت تراود البشرية، ويتجدد الأمل في تجسديها كلما طهرت أداة اتصال جديدة.

لقد اعتمدنا في هذا المقال على مفهوم مواقع الشبكات الاجتماعية التي عرفته الباحثتان بويد وإلسون(boyd ، Ellison : 2007) بأنه منصة للتواصل الشبكي تتيح للمشتركين فيها بما يلي : 1- امتلاك "بروفيلات" محددة ينشئها ترابط المحتويات التي يقدمها كل من مستخدم الموقع وأصدقاؤه، وبيانات النظام التقني 2- إمكانية عرض العلاقات التي يمكن للغير مشاهدتها والإطلاع عليها بشكل علني وأمام الملأ 3- النفاذ إلى سيل المحتويات المعممة من قبل المستخدمين UCG، والتي تجمع النصوص والصور والفيديو عن الأماكن والأشخاص أو العلاقات التي يقيمها المشتركون في موقع الشبكات الاجتماعية.

لقد فضلنا استخدام هذا المفهوم رغم اقتناعنا بأنه لا يخلو من بعض المأخذ، التي نذكر منها : التعاطي مع مواقع الشبكات الاجتماعية كمعطى منجز ومنتهي. بينما المتتبع لها يلاحظ أن بعضها لم يكن يندرج ضمن التعريف المقدم في بداية انطلاقها لكنها اكتسبت، بفضل تزايد استخدامها أو تحت وطأة المنافسة،

Scanned by DocumentScanner | Lufick

الخصائص المذكورة أعلاه بعد أن كانت عبارة عن منصات لإرسال النصوص القصيرة أو منتديات للنقاش عبر الانترنت، كما هو الشأن بالنسبة لموقع Flickr أو المدونات إلكترونية (Coutant,Stenger : 2010). كما أن اعتماد هذا التعريف على وظيفية هذه المواقع يطرح مشاكل نظرية ومنهجية على الباحثين. هذا دون الأخذ بعين الاعتبار أبعاد التطورات التي أدخلت على وظائفها لاحقا، والتي صنعت تميزها. فموقع اليوتوب Youtube، على سبيل المثال، تحول إلى خادم للملفات السمعية -البصرية -الفيديو- أكثر منه شبكة اجتماعية بالمفهوم المحدد أعلاه، بل أصبح في بعض الحالات منصة لبث مقاطع من برامج تلفزيونية، فأعطى للقنوات التلفزيونية امتدادا للوصول إلى جمهور أخر، ومنح لهذه البرامج حياة ثانية ونقلها إلى فضاءات اجتماعية وثقافية مختلفة عن تلك التي كانت موجهة لها. كما أن التفاوت بين الوظائف التي تتيحها بعض المواقع واستخدامها الاجتماعي يمكن أن يخرج بعض المواقع من خانة شبكات اجتماعية. وأوضح مثال على ذلك يتجسد في موقع Google+. فهذا الأخير يسمح بكسب أصدقاء ومتابعة بعض المشتركين لكن هذه لم تكن ضمن وظائفه الأساسية، بل ولدت بالصدفة فأضيفت لوظائفه. فهذا الموقع يعّد في جوهره همزة وصل غير مرئية بين المستخدم والواب، تراقب ما يفعله هذا المستخدم وتسجله وتخزنه للمستقبل. [1] فإذا كانت مواقع الشبكات الاجتماعية، مثل فيس بوك، وتيوتر، وماي سبيس، وفليكر، ولكندن ولدت في بيئة الانترنت، فقد ظهرت تطبيقات جديدة منافسة في بيئة الهواتف

---

[1] - Charles Arthur (2013) : Google + isn't a social network; it's The Matrix, The Guardian Jun. 4, quoted by De la porte Xavier, retrieved June, 16, 2013 from
http : //www. internetactu. net/2013/06/10/google-bienvenue-dans-la-matrice/

Scanned by DocumentScanner | Lufick

الذكية على غرار WeChat الصينية وKakao Talk الكورية. والاختلاف بين البيئتين واضح. فبيئة الانترنت تنشد اقامة علاقات، بينما بيئة الهاتف الذكي تروم الاتصال (المكالمة الهاتفية والرسائل القصيرة) والمناقشة (Pizani : 2012). حقيقة قد نجد في موقع WeChat شيئا من وظائف موقع شبكة تويتر، والفيسبوك، وInstagram، وسكايب، وحتى النصوص القصيرة الصوتية، مثل موقع "walkie-talkie (Pizani : 2012) إلا أن مركز ثقل الموقع المذكور يظل الاتصال والمناقشة **وليس إقامة علاقات. وهذا الاتصال هو العامل المفسر لانتشاره السريع داخل الصين وخارجها. وينطق هذا القول على نظيره الياباني** Line. **فالمطلوب من البحث العلمي عن مواقع** الشبكات عدم الاكتفاء بدراسة تأثير الشبكات الاجتماعية على المجتمع، بل لابد من التفكير في ملامح المجتمع في مواقع الشبكات الاجتماعية. فرغم الرقابة الشديدة المضروبة على مواقع الشبكات الاجتماعية في الصين، ونزعة الصينيين التكتمية التى تحول دون البوح بدواخلهم ومشاعرهم، فقد تزايدت شعبية بعض هذه الشبكات، مثل Renren, Weibo, Qzone. وهذا يرجع إلى طبيعة الثقافة الصينية المتناغمة مع فلسفة مواقع الشبكات الاجتماعية والتى تقوم على التعاون والنزعة الجماعية (Balagué 2012). ومواقع الشبكات الاجتماعية لا تقف بمنأى عن الخصائص الاجتماعية والعرقية التى تطبع المجتمعات المتعددة عرقيا ولسانيا وعقائديا. فأغلب المشتركين في موقع Asian Avenue (الذى أنشئ في 2007)، على سبيل المثال، ينتمون إلى الجالية الأسيوية التى استوطنت الولايات المتحدة. وتتكون أغلبية المشتركين في موقعMiGente (الذى أنشئ في 2000) من الجالية الناطقة بالإسبانية في الولايات المتحدة الأمريكية.

Scanned by DocumentScanner | Lufick

وهذا يؤدى بنا إلى القول أن مواقع الشبكات الاجتماعية تعيد إنتاج مختلف أشكال التميز والميز العرقى والاجتماعى والدينى، [1] والتنوع الثقافي الموجود في المجتمعات. وهذا لا يتنافى مع القول أن بعض مواقع الشبكات الاجتماعية تروم اقامة جماعات Communities تتعدى "الأقاليم العرقية" و" اللسانية" و" السياسية".

وكخلاصة النقاش حول مسمى مواقع الشبكات الاجتماعية يمكن ان نستنتج مع الفيلسوف الفرنسى إيدغار موران أن ما يسمى بمواقع الشبكات الاجتماعية هي "ماكرو مفهوم" : أي أنه مفهوم واسع جدا ومركزي، يستعين بمفاهيم أخرى حتى يُشْرح ويُحَدد. وإذا كان لهذه المفاهيم الفضل في تسليط الضوء على ظاهرة معقدة، مثل مواقع الشبكات الاجتماعية والتداخل بين ما هو تقني واجتماعي، فيتضح أن بعضها ذو طبيعة إجرائية ضعيفة، وحتى ضارة لتشخيص مختلف العناصر التي تشكل الظاهرة المذكورة. (Stenger, : 2010 Coutant).

وسائط جديدة وإشكاليات قديمة في المنطقة العربية ؟

تشكل البحوث حول مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية استمرارية لبحوث الاتصال الجماهيرى، إذ أن الكثير منها يسعى إلى تشخيص دور هذه المواقع في التغيير الاجتماعى والسياسى، وتشكيل الرأي العام، ورفع الوعي، والتأثير على القيم والسلوك

---

[1] - يؤكد الباحثة الأمريكية دانا بويد أن طلاب المدارس الثانوية يشتركون في الشبكات الاجتماعية حسب اصولهم العرقية : ما سبيس للزنوج، والفيس بوك للبيض. - أنظر :
Boyd Danah (2009) : Les réseaux sociaux reproduisent-ils la ségrégation raciale? Tranlated by Nora Bouazzoumi, retrieved June 6:2010 from http : //www. slate. fr/story/10695/les-reseaux-sociaux-reproduisent-ils-la-segregation-raciale

Scanned by DocumentScanner | Lufick

الاجتماعى وهذا رغم الاختلاف الواضح بين وسائل الاتصال الجماهيري الكلاسيكية وهذه المواقع، والتي شرحناها أنفا.

إن الشبكات الاجتماعية تشكل نقطة التقاء بين ما هو شخصى وما هو عام - جماعى- إلا أن مركز ثقلها هو الفرد الذى يعرض يوميات وخبراته الشخصية، ويبنى ذاته في علاقته بالآخر ويسردها. ويعبر عن أفكاره الشخصية ومشاعره الحميمية، وينقل الأخبار ويعلق عليها. لذا من المفروض أن تتجه هذه البحوث في المنطقة العربية إلى التركيز على ما هو شخصى وفردي ومتميز وخاص في ظل الثقافة العربية- الإسلامية التى يعرف فيها الفرد من خلال الجماعة أو العائلة أو القبيلة، لكن النزر القليل من الباحثين تصدى إلى إشكالية ظهور مواقع الشبكات الاجتماعية وتطورها في ظل الثقافة العربية التى تتسم بطابعها الجمعى. [1] لقد حاول الباحث السعودي عبد الله الغذامى إثارة هذه النقطة في حديثه عن ظهور المقال الصحفى في الصحف السعودية وتشكيل الرأي الفردي المستقل. (الغذامي : 2005، 129)

بالفعل إن التغييرات السياسية العاصفة التى تعيشها بعض البلدان العربية، والتى أخذت بعدا داميا تحفز البحث عن مواقع الشبكات الاجتماعية من الزاوية السياسية. لكن قصورها يظل ناتجا عن تغييب الفرد وهيمنة الجماعة واستبدال الفعل السياسى العملي بالنشاط السياسي الرقمي ضمن تصورات جاهزة رحلت من

---

[1] - هذه الإشكالية التي حاولنا معالجتها في بحثنا الموسوم : الفضاء التدويني العربي واستراتيجيات بناء الذات وسردها، مجلة الباحث الإعلامي،

Scanned by DocumentScanner | Lufick

سياقات مختلفة، كما سنوضحها لاحقا في مناقشة المفاهيم الرائجة في دراسة هذه المواقع.

ويسعى القسم الأعظم من هذه البحوث في المنطقة العربية إلى محاولة معرفة دور مواقع الشبكات الاجتماعية في تعزيز الهوية الجمعية الشاملة التى تصور كمعطى جاهزا وتام ومتجانسا. وبهذا لم تطمس مكانة الفرد فقط، بل اعتبرت هذه المواقع كمؤسسات مالكة لتصورات شاملة وتامة. وسدت النظر إلى مختلف الأقليات الاجتماعية والدينية والسياسية الموجودة في المنطقة العربية ومختلف الشرائح الاجتماعية في تعاملها مع مواقع الشبكات الاجتماعية وفق ثنائية الانطواء والاندماج.

إن هاجس الهوية العربية الإسلامية الذي طغى على بعض البحوث عن مواقع الشبكات الاجتماعية قد نجم عن تَمَثُّل بعض الباحثين لهذه المواقع الذين يرونها دخيلة عن المجتمع وفرضت عليه؟ وستحدث لا محالة قطيعة مع عاداته وتقاليده وقيمه الاجتماعية وتنشئ روابط اجتماعية جديدة غير مسبوقة. وربما الأمر لا يتعلق بتَمَثُّل بقدر ما يرتبط باستنساخ فهم يرى أن كل تكنولوجية جديدة هى عرضة لإنتاج مخيال يبرزها كمنتجة لمجتمع جديد Rebillard : (2007، 14). فالخشية من هذا المجتمع "المتخيل" هى التى جعلت بعض البحوث تدير ظهرها لفهم هذه المواقع الاجتماعية في المنطقة العربية وتتجه إلى تقديم وصفة لما يجب أن تكون عليه. وهكذا تسقط هذه الوصفة بسهولة في الوعظ والإرشاد. فلو امضت هذه البحوث إلى الواقع مباشرة، وسألت مستخدمي هذه المواقع عمّ يفعلونه فيها بدون أحكام مسبقة،

Scanned by DocumentScanner | Lufick

واستنطقت العُقَد التى تكون الشبكة التى ينشئونها عبر المواقع المذكورة لتأكدت أنها جاءت بالجديد وأدمجته في القديم : أى أعادت تشكيل Reconfiguration التنظيم الاجتماعى القديم، وأعادت إحياء الانتماء إلى مسقط الرأس، وشدت من أواصر الارتباط بالأهل والأصدقاء والمعارف ومنطقة عيش الأهل والعائلة. فقد استطاعت مواقع الشبكات الاجتماعية، على سبيل المثال، أن تحى دور " تجمعة"(أى جمعية الأعيان) في منطقة القبائل بالجزائر التى كادت تندثر من خلال ربط أبناء القرى المهاجرين في فرنسا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية ودول الخليج العربى بقضايا قراهم وإدارتها. [1] وللتأكيد على استخدام الشبكات الاجتماعية للحفاظ على الانتماءات المختلفة السالفة وحتى النزعات الشوفينية وتشجيعها يمكن أن نذكر المجموعات التى تشكلت في صفحات موقع الفيسبوك على إثر مباراة الجزائر ومصر لتصفيات كأس العالم في 2010، والتى جرت فيها معركة طاحنة بين المشتركين على أساس الانتماء الوطني !

ورغم أن الكثير من الدراسات عن مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية استلهمت من البحوث في الدول الغربية إلا أنها لم تستنسخ منها تعدد مقاربتها وتنوع مواضيعها التى أنضجها تطور استخدامها في مختلف قطاعات النشاط البشري. وإذا كان بالإمكان ايجازها فيمكن حصرها فيما يلي :

---

[1] - هذا ما أكده الزميل الأستاذ عيسى مراح الذي ذكر للباحث أن مواقع الشبكات الاجتماعية أعادت بعث " التجمعة" أي جمعية الأعيان التي كانت تشكل هيئة إدارة الشأن العام للقرية. فأصبحت التبرعات بالمال تتم من خلال موقع الفيسبوك ويشارك فيها أبناء القرية المتواجدين في عدة دول بالعالم ويقدمون اقتراحاتهم ويتابعون مدى إنجاز المشاريع التي ساهموا في تمويلها.

Scanned by DocumentScanner | Lufick

1)دراسة هندسة الشبكات الاجتماعية التى تستثمر التراث العلمى الذي رسخته دراستها، مثل التحليل السوسيومتري الذى أسسه عالم الاجتماع الأمريكى : Jacob L. Moreno (1889-1974)، والدراسات الأنثربولوجية التى ركزت على مفهوم البنية القريب من معنى الشبكة، ووظفته في البحث عن مواقع الشبكات الاجتماعية لفهم كيفية تكون الشبكات ومكوناتها وحركيتها. لقد حاولت هذه الدراسات أن تحصر مفهوم الرابط الاجتماعى لتميّز بينه وبين واقعه الافتراضى (Akoun : 2002) وقسمته إلى روابط ضعيفة وأخرى قوية لمعرفة فاعليتها في الحياة الواقعية، كما فعلت العديد من البحوث. (Cardon : 2011) و(Lemieux، Ouimet : 2004، 44)

2) دراسة التفاعلات بين المشتركين في مواقع الشبكات الاجتماعية التى تعمل على جعل اليومى مرئيا أكثر بالإجابة عن السؤال التالى : ماذا تُظْهر مواقع الشبكات الاجتماعية من حياتنا ؟ وماذا تكشف عن شخصيتنا ؟ وهو السؤال الذي يناقش مسألة الحدود بين الفضاءات العامة والخاصة في مواقع الشبكات الاجتماعية وفي حياتنا اليومية. (Jouët : 2000)(Hardouin : 2011)، (Verpra : Coutant Stenger2012 : 2010). وتأويل هذه التفاعلات في تشكيل الفضاء العمومي (Levy : 2008) ، Dahlgren, (2000 : Relieu)

3) دراسة خبرات مستخدمى الشبكات التى ركزت على أشكال استثمار الخبرات المتداولة أو المشتركة في اكتشاف الذات أو بنائها (Papacharissi : 2011)، وفي الحفاظ على الرابط الاجتماعى وتفعيل رأسمال الاجتماعى (Mercklé : 2011)، (Latour : 1992)، (Scott، Carrington : 2011)، (Fitzgerald : 2008)

Scanned by DocumentScanner | Lufick

4) دراسة مواقع الشبكات الاجتماعية والمؤسسات التى تعاملت مع الشبكات كرافد في عملية التعليم والتدريب والتأهيل أو مطورها، وكوسيط يعزز العلاقات المهنية والتنظيمية في المؤسسات والإعلان، وقد توصلت إلى العديد من النتائج، نذكر منها على سبيل المثال، تلك التى تعتقد أن استخدام هذه الشبكات في الإعلان المشخص وفق ملامح الزبون/المستهلك تقلل من فاعلية التسويق إن لم تقض على مبرر وجوده (Coutant Stenger، 2010)

بالطبع، إن البحث في هذه المداخل قد أدى إلى تجديد إشكاليات البحث في مجال علوم الإعلام والاتصال في سياق تطور المجتمعات الغربية. فمواقع الشبكات الاجتماعية التى زادت من تدفق الأخبار والمعلومات، ومدت في الحقل المرئى للذاتيات والحميميات وربطت الأشخاص المتباعدين تمت وتتم في ظل انحسار الهويات الجماعية ليس القديمة فقط، بل الحديثة، أيضا، مثل الأمة، الدولة، النقابة، الحزب، وابتعاد الهيئات الديمقراطية، مثل : البرلمانات ووسائل الإعلام الكلاسيكية عن مبرر وجودها. ففى هذا الإطار تبلورت الانشغالات البحثية المرتبطة بجملة من الثنائيات : العزلة/ الإندماج، الحياة الخاصة/ والحياة العامة، الحرية الفردية/ الرقابة الجمعية – يمكن الإشارة في هذا المقام إلى استثمار أطروحة فوكو : الرقابة والعقاب في دراسة الشبكات الاجتماعية[1] واستبطان المعايير والقيم الاجتماعية/ التمرد عليها، التمايز/ والتماثل، بمعنى أن

---

[1] - هذا ما قامت به العديد من البحوث، نكتفي بذكر :

Trotter Daniel (2012) : impersonal Surveillance on social media. Canadian Journal of Communication, Vol 37, pp 319-332

Scanned by DocumentScanner | Lufick

قيام الأشخاص الذين يستخدمون مواقع الشبكات الاجتماعية لعرض ذاتهم والكشف عن اختلافهم عن الآخرين يقابله قلق من كونهم لا يشبهون الآخرين وغير محبوبين من قبل مستخدمى مواقع الشبكات الاجتماعية (Smith : 2010). وانحسار الممارسة السياسية في الواقع في البلدان الديمقراطية/ واتساعها في الشبكات الافتراضية. بل أن بعض البحوث تصدت إلى الاعتقاد الواهم الذي يبرز مواقع الشبكات الاجتماعية كلوح نجاة للمجتمعات التى تعانى من أزمة اتصال، وانحسار النشاط السياسى، وتفكك في العلاقات الاجتماعية، بل ان بعضها برهن على أن هذه المواقع ليست اجتماعية أصلا[1].

---

[1] - يُبين كوبلند أن موقع الشبكات الاجتماعية تصيب مشتركيها بالحزن، وذلك لأن بعضهم ينتقى من حياته العامة ما هو أجمل ويبرزه للعلن عبر نشره فيها : أي صور تكشف عن سعادته مع أفراد اسرته أو مع من يحب أمام سيارة فاخرة أو مسكن رائع او مسمبح أو في إجازة، مما يذكر المشتركين المحرومين بواقعهم التعيس. فيشتد حزنهم - أنظر :

Libby Copeland (2011) : Facebook, le réseau antisocial; En donnant aux autres l'air d'être heureux, Facebook nous rend tristes; traduit par Antoine Bourguille; retrieved october 7, 2011 from http : //www. slate. fr/story/33355/le-reseau-antisocial

Scanned by DocumentScanner | Lufick

إن الانشغالات البحثية المذكورة أعلاه لم تكتف بالاعتماد على نظرية الإعلام والاتصال الجماهيري الكلاسيكية التى تشكلت في نهاية النصف الأول من القرن الماضى. هذا مع العلم أن بعض الباحثين يعتقدون أن الاتصال الجماهيري كتخصص أكاديمى يتكيف مع تطور وسائله وأشكالها الرقمية ويتناغم مع امتدادات الميديا الجديدة، لأنه يستند إلى الأطر البحثية الموجودة، ويعتمد على أنماط التحليل القديمة. ويستخدم النظريات والمفاهيم السابقة. (Dewdney , Ride : 2006، 23)

إذا كان هذا الرأى مستساغا في نهاية الثمانينيات من القرن الماضى، فإنه يحتاج إلى مراجعة في ظل تعقد الظاهرة الإعلامية في العقد الثانى من القرن الواحد والعشرين. فشرعية وجود مواقع الشبكات الاجتماعية تختلف عن شرعية نشاط مؤسسات الاتصال الجماهيري، كما ذكرنا آنفا، والتطورات التى طرأت على وسائل الاتصال الجماهيري الكلاسيكية بعد أن دمجت التكنولوجيات الحديثة فرضت إعادة النظر في استراتجياتها الاتصالية. فجمهورها، هذه الكتلة الهلامية المجهولة والمجردة، تحولت إلى مستخدمين ذوى ممارسات مشخصة وملامح محددة، ومكانة المرسل والمتلقي تغيرت في بيئة إعلامية جديدة ؟

المقاربة النظرية والمنهجية

ما سبق عرضه يجرنا للتساؤل عن الغاية من دراسة مواقع هذه الشبكات. فدراستها لا تسعى إلى استخراج القوانين العامة التى تشرح هذه الظاهرة مثلما تفعل المقاربات الوضعية positivism،

Scanned by DocumentScanner | Lufick

ويمكن تعميمها. ولا تنجح في نفي أي مساهمة للفاعل/ مستخدم هذه الشبكات في السياق الثقافي والاجتماعي الذي تستخدم فيه هذه الشبكات، مثلما تتصور النظريات الوظيفية. فهدف الباحث في مواقع هذه الشبكات هو استجلاء المعاني التي يشترك في انتاجها مستخدمو هذه المواقع وجعلها مفهومة من قبل مستخدمين آخرين. هذا القول لا ينفي وجود العديد من البحوث التي اعتمدت على البراديغم السلوكي والوظيفي في دراسة مواقع الشبكات الاجتماعية لكنها تطرح مسألة جدواها المعرفية ومصداقيتها العلمية. إن المقاربة الوظيفية تؤمن أن الوظيفة تسمو على المعاني، بل تنفي وجود المعاني أصلا من خلال تأكيدها على أن مواقع الشبكات الاجتماعية أنشئت لتحقيق مجموعة من الوظائف. وإن تعثرت في ذلك، فتعاني من خلل وظيفي. وإن كفت عن القيام بما أنيط بها من أدوار فتزول وتندثر. فهل يمكن القول، دون أن نجانب الخطأ، أن موقع شبكة الفيسبوك، على سبيل المثال، يقوم بالأدوار ذاتها والكاملة في المجتمع الخليجي أو المغربي أو الموريتاني، على سبيل المثال ؟ لو افترضنا أن لهذه المواقع الوظائف ذاتها في كل المجتمعات العربية فإننا نعجز عن فهم سبب استخدام موقع شبكة تويتر في السعودية أكثر من تونس أو الأردن. وعن قلة عدد مستخدمي مواقع الشبكات الاجتماعية المهنية، مثل Linkedin عن نظرائهم من مستخدمي موقع شبكة الفيسبوك بحوالي تسع مرات[1].

والتمسك بنظرية التأثير التي أطرت بحوث الاتصال الجماهيري لعقود عديدة في المنطقة العربية وتطبيقها على مواقع الشبكات

---

[1] - Dubai school government(2012) : Social Media in the Arab World : Influencing Societal and Cultural Changes, Arab social media report Vo 2, n1, July

Scanned by DocumentScanner | Lufick

الاجتماعية[1] ينطلق من براديغم وظيفي يفسر الظاهرة الاجتماعية انطلاقا من سببية خطية (سبب/نتيجة). وفالبحوث التي تتناول مواقع الشبكات الاجتماعية وفق نظرية الاستخدامات والاشباعات لا تخرج عن براديغم الوظيفي. فهي لا ترى في هذه المواقع سوى أداة بسيطة تعمل على تلبية حاجات المستخدمين وإشباعها.[2] فقد تحولت هذه النظرية إلى أداة سحرية جاهزة لتفسير الظاهرة الإعلامية، بما فيها مواقع الشبكات الاجتماعية. وبهذا تقع في تناقض صارخ. فمن جهة تقدم تبريرا وظيفيا جاهزا لجنوح مستخدمي الانترنت نحو استخدام المواقع المذكورة (إشباع الحاجات)، وتسجل، في ذات الوقت، مأخذ أخلاقية على هذا الاستخدام الذي يؤدي إلى الادمان والانحراف! بل لقد زج بهذه النظرية لاستقراء علاقة بعض الفئات الاجتماعية بمواقع الشبكات الاجتماعية في "صناعة" ظاهرة اجتماعية في غاية التعقيد، مثل الرأي العام.[3] وإذا كانت هذه النظرية تنطلق من حاجات كامنة

---

[1] - أنظر على سبيل المثال :

- عبد الله ممدوح مبارك الرعود (2012) : **دور شبكات التواصل الاجتماعي في التغيير السياسي في تونس ومصر من وجهة نظر الصحافيين الأردونيين**، ماجستير إعلام، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، الفصل الدراسي الأول 2012/2011

- مصعب حسام الدين لطفي قتلوني (2012) : **دور مواقع التواصل الاجتماعي " الفيسبوك في عملية التغيير السياسي- مصر نموذجا-** ماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح.

[2] - أنظر على سبيل المثال :

- علي عقله نجادات (2012) : **استخدام المتزوجات العاملات في الجامعات الأردنية للفيسبوك والإشباعات المتحققة منه، مسترجع بتاريخ 5 أغسطس 2013 من الموقع :**

http : //faculty. yu. edu. jo/anejadat/Lists/Published%20Research

باديس لونيس(2008) : **جمهور الطلبة الجزائريين والانترنت : دراسة في استخدامات وإشباعات طلبة جامعة منتوري - قسنطينة**، رسالة ماجستير، قسم الإعلام، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر

[3] - أنظر : مبارك زودة (2012) : دور المواقع الاجتماعية في صناعة الرأي العام، الثورة التونسية أنوذجا، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الحاج لخضر- باتنة- الجزائر

Scanned by DocumentScanner | Lufick

لدى الجمهور /المستخدم فانها تتجاهل الاستراتيجيات التى يستخدمها هذا المستخدم لتفادى ما لا يحتاجه أو لا يرغب فيه. فالجهور هو الذى يفرض رغباته على المواقع المذكور مع كل الفرص التى يتيحها والاكراهات التى يتعرض لها. فالوظيفية تبرر شرعية كل حتمية : الحتمية التقنية التى تؤمن أن مواقع الشبكات الاجتماعية هى أولا وقبل كل شىء عُدّة تكنولوجية : تجهيزات تقنية وبرامج تتضمن فلسفات وتقودها قوى محايثة تفرض نفسها على المستخدمين، بصرف النظر عن السياقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى توجد فيها. والحتمية الاجتماعية التى تثمن هيمنة المجتمع ومؤسساته وتفاعلاتها على الأفراد. وهكذا ففى الحتمية الأولى تكون التكنولوجية هى المتغير المستقل، وفى الحتمية الثانية يكون المجتمع/ الجمهور هو المتغير المذكور.

إذا كان تحليل مضمون الرسائل النصية والشفهية والمصورة المتبادلة فى مواقع الشبكات الاجتماعية حول العلامة التجارية لسلعة معينة مطلوبا، وحتى ضروريا، فى بحوث التسويق، فإن تعميم استخدامه لاستنتاج التوجهات السياسية أو الايديولوجية للميديا الجديدة[1] فرضه التأثر بالماركسية والدراسات الثقافية فى المنطقة العربية. لكن نتائجه العلمية ظلت محدودة. والسبب فى ذلك لا يكمن فقط فى كونه أداة بحث "كلاسيكية" استثمرت فى دراسة مضمون وسائل الاتصال الجماهيرى الكلاسيكية قصد الكشف عن تصور سلطة مركزية تبث رسائل إعلامية لأغراض محددة. والكل يعلم أن هذه السلطة غير موجودة فى مواقع الشبكات الاجتماعية. بل يرجع، أيضا، إلى أن مضمون الاتصال يعد ثانويا فى

---

[1] - محمود أحمد محمد الرجبي (2012) : **اتجاهات الخطاب الإسلامي في المواقع الإلكترونية الإخبارية**، ماجستير، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن

Scanned by DocumentScanner | Lufick

مواقع الشبكات الاجتماعية مقارنة بالاهتمام بمن اتصل وبمن ؟ ونوعية العلاقة التى تجمعهما وكيف تطورت ؟ وكيف يوظفها مستخدمو الشبكات الاجتماعية في حياتهم اليومية ؟ وللتأكد من هذه الأمر يمكن التأكد من عدد التعليقات وعلامة I Like على صورة المشترك في الفيس بوك، وعدد التعليقات على أفكاره وأقواله ونوعية التعليقات.

وتأسيسا على ما سبق، بدأت البحوث الخاصة بمواقع الشبكات الاجتماعية تعتمد على المقاربة التواصلية The communicational approach التى ترى أن فهم عملية الاتصال التى تجرى بين العديد من الأطراف يقتضى الأخذ بعين الاعتبار السياقات، والأوضاع، وعملية إخراج الاتصال staging ، ورهانات كل شخص. (Mucchielli : 1997). وتتجسد هذه المقاربة عبر تشغيل البراديغم البنائى الذى ينطلق من المسلمات الثمانية التالية حول المعرفة وإنتاجها، والتى صاغها الباحث ميشلى (Mucchielli : 2005)، وهى : إن المعرفة مَبْنِيَة، وغير منتهية البناء، ومعقولة ولائقة، ومشروطة، وموجهة نحو الفعل والتجارب القائمة على الغايات، وتابعة لأفعال وتجارب الذات العارفة- الباحثين، والأفعال تهيكل المعرفة وهذه الأخيرة تهيكل بدورها الأفعال والتجارب، وتُشحذ المعرفة من خلال تفاعل الذات العارفة بالعالم.

Scanned by DocumentScanner | Lufick

إن المعنى الكامن في الاتصال لا يولد جاهزا وكاملا وموحدا، بل إنه ثمرة انتاج يشترك فيه المنتج والمتلقى أو وليد التفاوض الضمنى الذي يجرى حول مادة الاتصال. فلو اسقطنا ما ذكره الفيلسوف الألمانى Wolfgang Iser[1] عن عملية التأويل على الاتصال عبر مواقع الشبكات الاجتماعية فيمكن القول أن معنى الفعل الاتصالى عبر واجهة مواقع الاتصال لا يولد ذاتيا، ولا ينجم عن القياسات المختبئة في ثنايا المادة المتداولة بين المتواصلين. فعندما ينتج المتلقى معنى ما من تغريدة تويتر أو من تعليق على جدار مستخدم لموقع شبكة الفيسبوك، فمن المنطقى أن يعبر هذا المعنى عن نفسه في صيغة فردية. ومن هذا المنطلق ينمو الشك في المصداقية العلمية للسيمولوجيا في دراسة مواد الاتصال في مواقع الشبكات الاجتماعية. فالدرس السيميائى يفترض وجود "وعى سيميائى" يؤطر الممارسة الدالة، ويجعل من الباحث الحلقة الأساسية في إنتاج المعنى الذى قد يتوافق أو يتعارض مع المعنى الذى قصده مستخدم مواقع الشبكات مع أصدقائه عبر نشره لصوره أو لتعاليقه. ومهما كانت قدرة الباحث الفائقة في استخلاص المعنى من قراءته لواجهة موقع الشبكات الاجتماعية فإنه لا يعوض المستخدم ولا يلغيه، كما تؤكد نظرية الاستخدامات Usage التى استعملت لدراسة هذه المواقع- والتى نتحدث عنها لاحقا. ولا نستطع الجزم بوجود القراءة الواحدة التى يستنتجها الباحث من الاتصال ويقول أنها القراءة الفريدة التي يقصدها مستخدمو موقع من مواقع الشبكات الاجتماعية.

---

[1] - Wolfgang Iser (2007) : هورس ستينميتز : **التلقـي والتأويـل**، نرجمة منذر العياشي، مجلة نزوى، سلطنة عمان، عدد 49، يناير

Scanned by DocumentScanner | Lufick

بجانب البراديغم البنائى، تستعين المقاربة التواصلية ببراديغم النسق ذى الصلة الوثيقة بمفهوم التعقد The Complexity الذي صاغه الباحث الفرنسي إدغار موران لدراسة المواقع المذكورة. وينطلق هذا البراديغم من الاقتناع بعدم عزل الظاهرة المدروسة، بل يجب فهمها في شموليتها. فالظواهر لا توجد بشكل معزول لكنها تندمج في مجموعة من الظواهر التي تشكل نظاما. (Heid : 2011) وبهذا يكون إنتاج المعنى فعلا معقدا ينفي الرؤية البسيطة والتبسيطية للظواهر الاتصالية القائمة على السبب والنتيجة. ويشكك في نتائج المقاربة السيمائية للمواقع الشبكات الاجتماعية التي تكتفي بمضمون النص بدون النظر إلى امتدادات السياقات التي تؤثر عليه. وتحاول استقراء المعنى من ثنايا العلامات والرموز التي يتضمنها.

وتلجأ البحوث حول مواقع الشبكات إلى نماذج نظرية أخرى لدراستها، مثل التفاعلات الرمزية التي ترى أن البشر يتصرفون تجاه الأشياء على أساس ما تعنيه لهم. فالمعاني تُحَور وتُعدل ويتم تداولها وفق تأويل المتصلين. [1] ورغم أن الاتصال المكتوب عبر المواقع المذكورة أصبح يستعين بجملة من الرموز التي تقربه من التفاعل الحي الكامن في الاتصال المباشر الذي انطلق منه النموذج النظري للتفاعلات الرمزية إلا أن الحذر العلمي يقضي الأخذ بعين الاعتبار الفرق بين التفاعل في الاتصال الفعلي وجها لوجها، والاتصال عبر المواقع المذكورة الذي

---

[1] - أنظر على سبيل المثال إلى التطبيق العملي الذي قام به كل من البحث الذي أنجزه كل من Daniel Bonvoisin و Paul de Theux لكتاب أريفن غوفمان : اخراج الحياة اليومية على موقع الشبكات الاجتماعية :

Daniel Bonvoisin ; Paul de Theux (2012) : La « présentation de soi » dans les réseaux sociaux; Retrieved June6; 2013 from http : //www. media-animation. be/La-presentation-de-soi-dans-les. html

Scanned by DocumentScanner | Lufick

تحده مجموعة من الإكراهات التقنية والاجتماعية، منها موقف المتصل أمام المتصلين وعلنية مادة اتصاله التي تصاغ بطرق تتوقف على مدى معرفة المتصل للشخص أو الأشخاص الذين يخاطبهم.

وتستعين البحوث المذكورة أيضا بالنموذج النظري للأثوميتودولوجيا الذي يكشف عن الطرائق التي يستخدمها المتصلون لابتداع المعنى والذي يؤدي إلى اكتساب خبرات مشتركة وتعزيز حقلهم الدلالي. وقد يقتضى توظيف هذا النموذج الأخذ بعين الاعتبار القواعد والسلوكيات التي تفرضها المواقع المذكورة، والتي يجب احترامها لأنها تكشف عن معايير ضمنية يعترف بها كل مستخدمي هذه المواقع. (Zammar : 2010، 121)

بالإضافة إلى هذه المقاربات النظرية تستعين دراسة مواقع الشبكات الاجتماعية بنظرية الاستخدامThe usage . فرغم أن هذا الأخير تحول إلى مفهوم مبتذل من كثرة توظيفه في كل مقام إلا أن التفكير فيه شكل موضوع نظرية مازالت تثير الكثير من الجدل والنقاش. (Proulex : 2005)، (Chambat : 1994)، (Granjon : 2004)،(Jouët : 200) ولا يمكن الحديث عن نظرية الاستخدام دون التوقف عند مساهمة عالم الاجتماع الفرنسي ميشال دو سيرتو التي بلورها قبل ظهور الانترنت وبروز الشبكات الاجتماعية الافتراضية. وإن كانت نظرية الاستخدام شديدة الارتباط بالبراديغم الوظيفي الذي يرى الاستخدام ذا طابع أدائي للعّدة التقنية التي يتوسلها أو للإشباعات التي يحققها المستخدم في تعرضه لوسائل الإعلام، فإن عالم الاجتماع المذكور حررها من البراديغم الوظيفي، وكشف عن دلالاتها عبر العلاقات بين الأشخاص والتكنولوجيا. لقد استعارت العلوم الانسانية مفهوم

Scanned by DocumentScanner | Lufick

الاستهلاك من علم الاقتصاد، ووظفته لتشخيص علاقة الجمهور بوسائل إنتاج الإعلام والثقافة. واعتبرته فعلا سلبيا، لكن العالم المذكور يراه فعلا ابداعيا يقوم به الأشخاص العاديون. ابداع متلبد في تشابك الحيل الصامتة واللبقة والناجعة والتي بفضلها يبتدع كل شخص طريقته للسير في غابات المحتويات المفروضة.[1] حقيقة لا يوجد نص مفروض في مواقع الشبكات الاجتماعية، لكن ما سبق قوله يؤكد أنه لا يجب أن نهتم بمحتويات الخطابات التي تبثها مواقع الشبكات الاجتماعية فقط، بل يجب التركيز على عمليات استخدامها وتوظيفها. فهناك فرق بين الاستخدام والاستهلاك. وقد تم تشبيه الاستخدام بالأداء Performance الذي يختلف عن الكفاءة Competence. كما يؤكد ذلك اللسانيون (Luce : 94). إن الكفاءة هي مجمل ما يعرضه موقع الشبكات الاجتماعية أما الأداء فهو ما يهتم به المشترك في الموقع ويستخدمه في يومياته. فالمستخدم قد لا يهتم بكل ما يبث أو ينشر في موقع من مواقع الشبكات الاجتماعية. وقد لا يفهم من المواد التي يهتم بها ما قصده المستخدم/المرسل، لأنه ينقل ما نشر في الموقع الافتراضي إلى سياقه الثقافي وتجربته الاجتماعية والعاطفية ووفق مستواه التعليمي وانشغاله المهني.

بالطبع إن تعدد النظريات التي يستعين بها الباحثون لفهم ظاهرة مواقع الشبكات الاجتماعية توظف العديد من المفاهيم وتعطيها بعدا إجرائيا، مثل : التفاعلية، والافتراضية، والوساطة الرقمية، والمواءمة

---

[1] - نقلا عن : Serge prolex (1994) : Une lecture de l'oeuvre de Michel de Certeau l'invention du quotidien; paradigme de l'activité des usagers; Revue Communication; Vol 15; n2 automne; pp 170-197

Scanned by DocumentScanner | Lufick

Convergence والهجانة Hybridity، وصحافة المواطن Citizen Journalism، والمجال العمومي Pubic Space، ورأسمال الاجتماعي Social Capital، وغيرها.

بالطبع إن هذه المفاهيم ولدت في سياق اجتماعي وثقافي محدد. وأفرزتها تجربة بحثية لتحليل ظواهر جديدة ومتشعبة لكنها أصبحت موضوع نقاش سوسيولوجي، حسبما ذهب إليه أحد علماء الاجتماع الألمان(Beck : 2000)، الذي رأى أن العلوم الاجتماعية أصبحت محملة أكثر بالمفاهيم الجوفاء : مفاهيم كلاسيكية لم تعد تملك سوى الاسم لأنها ماتت لعدم جدواها البحثي أو ربما تحتاج إلى إعادة تشكيل حتى تواكب تطورات العصر وتستخدم بجانب مفاهيم جديدة ضرورية. فبعض المفاهيم التي تريد تشخيص التكنولوجيا الجديدة وإبراز خصائصها تداخلت مع بعض المفاهيم المجاورة وأصبحت مترادفات لها، مثل الجماعات على الخط online communities، والمجموعات التي تتوسطها الكمبيوترات، أو الجماعات الإلكترونية، أو الجماعة التقنو-اجتماعية، مما يدعو إلى الحذر في استعمالها (Proulx، Toth : 2000)

هذا الحذر لا نعثر عليه في الكثير من البحوث في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية التي استلمت بعض هذه المفاهيم جاهزة وأدرجتها في توصيفها لموضوع بحثها. وبنت عليها تحليلها دون التساؤل عن حدودها المعرفية، ومدى دقتها ومقدرتها على التعبير عن الوضع الاجتماعي والثقافي والسياسي في المجتمعات العربية.

فمفهوم التفاعلية، على سبيل المثال، الذي أصبح مبتذلا من كثرة استخدامه، يوظف في الغالب للتمييز بين الإعلام القديم والجديد، كان عبارة عن شعار يروجه أرباب صناعة المعلوماتية لتسويق مبتكراتهم في تسعينيات القرن الماضي (Kirkpatrick : 2004، 129).

Scanned by DocumentScanner | Lufick

لكنه أصبح يُقدم كصفة تأسيسية "للإعلام الجديد" في الدول الغربية لأنه يستند إلى ماض ويتكئ على ممارسة إعلامية كان لجمهور وسائل الإعلام كلمته فيها عبر العديد من السبل : وبريد القراء، والمكالمات الهاتفية أو من خلال الوسيط the Ombudsmen الذي تعينه الوسيلة الإعلامية للإنابة عن الجمهور فيرفع شكاويه واقتراحاته لتطوير نشاط هذه المؤسسة. أما في البلدان العربية فقد أخذ هذا المفهوم محتوى إيديولوجيا وتحول إلى مُرادف للديمقراطية، وحتى بديلا لها. بمعنى أن وجوده أصبح تحصيل حاصل لأن العُدّة التكنولوجية تتيحه "آليا". فهل أخذ جمهور وسائل الإعلام الكلاسيكية في العديد من البلدان العربية، التي تتسم بثقافة معادية للرأي المخالف ناهيك عن المعارض، مكانة الشريك في انتاج المادة الإعلامية والمناقش لما تثيره وسائل الإعلام من قضايا ؟ فتاريخ الصحافة العربية لا يخلو من الأمثلة التي تؤكد اقصاء كتابات من النشر في بريد القراء أو استغلال هذا البريد لفرض وجهة نظر الصحيفة أو المؤسسة الإعلامية. أما "صحافة المواطن" في شقها المؤسساتي ؛ أي المنصات الرقمية التي أنشأتها المؤسسات الإعلامية الكلاسيكية التي تملك مواقع لها في شبكة الانترنت لجمهورها، فليست سوى امتدادا لها ومكبرا صوتها. هذا ما أكدته دراسة لمواقع الفضائيات العربية في شبكة الانترنت التي بيّنت أن القنوات التلفزيونية العربية الكلاسيكية استخدمت مواقع الانترنت من أجل توصيل رسائلها، ولم تستخدمها لمعرفة رأي جمهورها وإبرازه ومناقشته. (لعياضي : 2012). وتحولت "مساهمات" مستخدمي الانترنت في مواقع الشبكات الاجتماعية إلى منابر للوشاية والهجاء والقدح والتكفير في بعض البلدان التي اجتاحها ما أصبح يعرف "بالربيع العربي".

Scanned by DocumentScanner | Lufick

وكذلك الأمر بالنسبة لمفهوم الفضاء العام الذي اكتسب معنى ايديولوجيا للتعبير عن الحداثة. فتعميم استخدامه في الحديث عن مواقع الشبكات الاجتماعية جعل معناه يقترب من معنى الجماعة الافتراضية Virtual Communities بينما جوهره، كما صاغه الفيلسوف الألماني هبرماس، واكب تحول المجتمع الأوروبي البرجوازي في القرن 17. إن اشتراك مجموعة بشرية في مواقع الشبكات الاجتماعية وتفاعلها فيما بينها لا يؤدى بالضرورة إلى ميلاد " فضاء عمومي" لأن "هذه المواقع هي مسارات، وحسابات، ومترجمين لما نقوله، ونفعله، ولما نحن عليه. مترجمون آليون، ومُسَلعون(أي تحولوا إلى سلعة)، ومُمَولون (Mathias : 2012). إن نمط العلاقات الاجتماعية الجديد في المنطقة العربية مازال قيد التَشَكُل ولم يكتمل بعد. وما يوجد هو نمط يجمع بين المجتمع التقليدي والنظام التعاقدي الحديث (حمدوش : 2012). وبهذا يمكن الاستنتاج بسهولة أن المقومات الأساسية للفضاء العمومي الهبرماسي غير متوفرة في المنطقة العربية (لعياضي : 2011). حقيقة لقد تم التراجع عن المقومات المُؤسِسة للفضاء العمومي التي حددها هبرماس، ومنها على وجه الخصوص طابعه الجدالي والتداولي. لكن الفضاء العمومي هو تصور سياسي لتنظيم المجتمع يقوم على إجماع حول معنى السياسية. فالسياسة في الموروث السلطوي العربي الإسلامي وحتى الشعبي هي الدهاء. والتنافس السياسي للحصول على السلطة يقتضي وجود خصم سياسي، بينما يخلو القاموس السياسي العربي من مفهوم الخصم، بل يوجد العدو. والعدو يتطلب القضاء عليه وليس منافسته. إن السياسة هي الحرية التي تضمن

Scanned by DocumentScanner | Lufick

لكل شخص مكانته كفاعل في الشأن العام. وتجعل الأشخاص متساوين ومختلفين في نظرتهم لهذا الشأن. (Delavictoire : 2008). فهل الحرية بهذا المفهوم متوفرة في المنطقة العربية ؟ حقيقة لقد بدأ التفكير في علاقة الفضاء العمومي بالشبكات الاجتماعية من منظور حنا أرندت التي أولت أهمية لبعده المرئي (أي أنه ليس حيزا للحوار بقدر ما هو مشهد عام، مشهد للظهور. فإذا كانت هذه الحياة استعراضا للحياة. ، فمن المفروض أن يكون لها مشهدا يتيح للأشخاص بالظهور. ومن المفروض، أيضا، وجود مشاهدين ؛ أي جمهور يتمتع بقدرة على الفعل والحكم على ما يظهر.)[1] إن

---

[1] - Philippe Chanial (1992) : Espaces publics, sciences sociales et démocratie Quaderni. N. 18, Automne. pp. 63-73

المراجع :

• البكرى فراده (2009) : **الهوية الثقافة العربية في ظل ثورة الإعلام، الجديد**، أبحاث المؤتمر الدولى، الإعلام الجديد، تكنولوجيا جديدة، لعالم جديد. . . . جامعة البحرين 7-9 / أبريل، ص 369- 390

• بن عيسى محمد المهدي، كانون جمال **(2012)** : مستخدمي الانترنيت في **المجتمع الجزائري بين الهوية المستقلة والهوية المغتربة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السيوسيوثقافية في المجتمع الجزائري - جامعة ورقلة، ص 581- 606

• الحايس عبدالوهاب جودة **(2012) : الشبكات الاجتماعية وأزمة الهوية، في ظل تطور تكنولوجيا الاتصال والتواصل الاجتماعي** 6 يناير، مسترجع بتاريخ 12 يونيو 2013 من الموقع

• حمدوش رشيد (2012) : **مسألة الرابط الاجتماعي، وسوسيولوجية الحياة اليومية أو المعاش**، مجلة إضافات، بيروت، عدد 17 و18، شتاء وربيع، ص 111- 125

http : //elhyes-abdelwahab. blogspot. com/2012/01/blog-post. html

• الراوي بشرى جميل(2012) : **دور مواقع الاتصال الاجتماعي في التغير**، مجلة الباحث الاجتماعي، العراق، عدد 18، ص (94-113)

• دلتن دومنيك (2012) : **الإعلام ليس تواصلا**، دار الفارابي، بيروت

• لعياضي نصر الدين (2012) : **المواقع الإلكترونية للفضائيات العربية في شبكة الانترنت بين الدواعي والتداعيات**، مجلة "المعيار" بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة – الجزائر، عدد 25- سبتمبر

Scanned by DocumentScanner | Lufick

• لعياضي نصر الدين، قضاء عمومي أو مخيال اعلامي ؟ مقاربة نظرية لتمثل التليفزيون في المنطقة العربية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، المجلد : 31 العدد : 336
• الغذامي عبد الله (2005) : قصة الحداثة في المملكة العربية السعودية، المركز الثقافي العربي

المراجع باللغات الأجنبية :

• Akoun André (2002) : nouvelles technique de communication et nouveaux liens sociaux : Cahiers internationaux de sociologie; Paris; 1 - n° 112 pp 7 à 15
• Balagué Christine (2012) : Les réseaux sociaux en Chine : un phénomène culturel; retrieved may 9; 2013 from : http : //pro. 01net. com/editorial/572241/les-reseaux-sociaux-en-chine-un-phenomene-culturel/
• Balle Francis, (1990) : Médias et sociétés, Paris, Montchréstien,
• Bourdieu Pierre (1980), " Le capital social. Notes provisoires ", Actes de la recherche en sciences sociales, n° 31-janvier
• Beck, Ulrich. (2000). 'The Cosmopolitan Perspective', British Journal of Sociology, 51(1) : 79-105
• Boyd Danah m Ellison Nicole B. (2007) : Social Network Sites : Definition, History, and Scholarship, Journal of Computer-Mediated Communication, Volume 13, Issue 1, October, pp 210–230
• Benoit Raphael (2008) : Demain tous journalistes, Retrieved August 20, 2009 from http : //benoit-raphael. blogspot. com
• Chambat Pierre (1994). « Usages des TIC : évolution des problématiques », Technologies de l'information et société, vol. 6 (3), pp 249-269
• Cardon Dominique (2011) : Internet et réseaux sociaux. Collection {Problèmes politiques et sociaux} n° 984. La Documentation française.
• Coleman, J. (1990). Foundations of Social Theory. Cambridge, Harvard University Press
• Coutant Alexandre et Stenger Thomas (2010) : Processus identitaire et ordre de l'interaction sur les réseaux socionumériques; retrived october 7, 2011 from
• Les Enjeux de l'information et de la communication | http : //w3. u-grenoble3. fr/les_enjeux
• Dahlgren Peter, Relieu Marc, (2000) : L'espace public et l'internet. Structure, espace et communication. In : Réseaux, , volume 18 n°100. pp. 157-186.
• Éric Guichard (2012) : Les réseaux sociaux : un regard critique; retrieved; may 12, 2011 from http : //barthes. ens. fr/articles/Guichard-Reseaux-sociaux. pdf
• Dewdney Andrew, Ride Peter (2006) : The New Media Handbook, Routledge, Taylor and Francis group, London and New work
Fauré Christian (2010) : Des techniques relationnelles aux technologies relationnelles ; retrieved June 9, 2012 from http : //www. internetactu. net/2010/12/02/des-techniques-relationnelles-aux-technologies-relationnelles
• Fitzgerald Devon (2008) : Interactions of the Self, Identity in the Room of Social Media. Dissertation for the degree of doctor of philosophy, Department of English, Illinois State University,
• Granjon Fabien. (2004) : De quelques éléments programmatiques pour une sociologie critique des usages sociaux des TIC » in Smaïl Hadj-Ali, éd., Les rapports société-technique du

Scanned by DocumentScanner | Lufick

point de vue des sciences de l'Homme et de la société, Rennes, retrieved March 12, 2006 fromhttp : //archivesic. ccsd. cnrs. fr/sic_00001136. html

Guy Lochard (2009) : Médiation et médiatisation : des notions complémentaires ou antagonistes? Actes de la troisième édition du Rendez-vous de la recherche en communication, 12 mars

• Hardouin Ronan (2011) : Facebook ou l'établissement de la frontière entre espace public et sphère privée ; retrieved May 12, 2013 from

• http : //www. juriscom. net/documents/resp20110624. pdf

• Heid Marie-Caroline (2011) : Analyse de l'évolution du monde de la presse écrite au travers de l'étude de pratiques émergentes contemporaines regroupées par la notion de journalisme participatif ;doctorat de l'université Paul Valéry Montoellier III; en Sciences de l'Information et de la Communication

• Jouët Josiane (2000) : Retour critique sur la sociologie des usages; Réseaux ; Volume 18, pp. 487-521

• Kaplan Andreas M, Haenlein Michael (2010) : Users of the world, unite! The challenges and opportunities of Social Media, Business Horizons, Volume 53, Issue 1, January–February, pp 59–68

-. Kietzmann Jan H, Hermkens Kristopher, Ian P. McCarthy, Bruno S. Kirkpatrick, G. (2004). Critical Technology : A Social Theory of Personal Computing. Ashgate Publishing,

• Latour B (1992) : Ces réseaux que la raison ignore, L'Harmattan, Paris,

• Lemieux Vincent & Ouimet Mathieu (2004) : L'analyse structurale des réseaux sociaux, presse universitaire de Laval

• Levy Pierre (2008) : La mutation inachevée de la sphère publique; retrieved June 15, 2010 from

• http : //entretiens-du-futur. blogspirit. com/archive/2008/10/02/la-mutation-inachevee-de-la-sphere-publique. html

• Marc Lynch (2007) : Voices of the New Arab Public : Iraq, Al-Jazeera, and Middle East Politics Today, Columbia University Press

• Mercklé Pierre (2011) : La sociologie des réseaux sociaux, Paris; La Découverte « Repères

• Mathias Paul (2012) : Le double visage de l'outil qui fabrique la nouvelle humanité numérique; le monde; France, 31 mai

• Mucchielli Alex (2005) : Le développement des méthodes qualitatives et l'approche constructiviste des phénomènes humains; Revue Recherches qualitatives Hors-Série - Numéro 1, pp 97-98

• Mucchielli Alex (1997) : l'approche communicationnelle, Sciences humaines, hors serie, n°16, pp. 34-39

• Mucchielli Alex (1996) : « Pour des recherches en communication », Communication et organisation; retrieved June 13, 2013, from http : //communicationorganisation. revues. org/1877

• Papacharissi Zizi (2011) :. A Networked Self, Identity, Community, and Culture on Social Network Sites. Routledge.

• Peter John Scott, Carrington J. (2011) : The Sage Handbook of Social Network Analysis. Sage publication Ltd

Scanned by DocumentScanner | Lufick

• -Pizam Francis (2012) : Une nouvelle génération de médias sociaux pourrait inquiéter Facebook, Retrieved August 19, 2013 from http : //winch5. blog. lemonde. fr/2012/12/17/une-nouvelle-generation-de-medias-sociaux-pourrait-inquieter-facebook/
• Proulex Serge (2007) : La construction sociale des objets informationnels : matériaux pour une ethnographie des usages; retrieved June 14, from http : //barthes. ens. fr/atelier/articles proulx2000. html
• Proulx Serge (2005) : Penser les usages des TIC aujourd'hui : enjeux, modèles, tendances in Lise Vieira et Nathalie Pinède, éds, Enjeux et usages des TIC : aspects sociaux et culturels, t. 1, Presses universitaires de Bordeaux, Bordeaux, p. 7-20
• Proulx . S et G. Latzko-Toth (2000) : La virtualité comme catégorie pour penser vol. XXXII (2). Presses de l'Université de Montréal, Montréal, p. 99-122
• Proulx Serge, Florence Millerand, Julien Rueff (sous direction) (2010) : Web social; Mutation de la communication; presse universitaire du Québec
• Quentin Delavictoire (2008) : Retour sur les concepts de citoyenneté et d'espace public chez Hannah Arendt et Jürgen Habermas pour penser la continuité du politique de l'Antiquité à la Modernité, Revue horizon sociologique, N 1- Automne
• Raymond Jean-Luc (2009) : Zygmunt Bauman : 3 traits caractéristiques des réseaux sociaux, retrived June 10;2010 from http : //blog. jeanlucraymond. net/post/zygmunt-bauman-3-traits-caracteristiques-des-reseaux-sociaux
• Rebillard Franck (2011) : Du Web 2. 0 au Web2 : fortunes et infortunes des discours d'accompagnement des réseaux socionumériques, Revue Hermés; No 59, pp 25-31
• Rebillard, F. 2007 : Le Web 2. 0 en perspective. Une analyse socio-économique de l'internet. Paris : L'Harmattan
• Samuels Robert (2009) : New Media, Cultural Studies, and Critical Theory after Postmodernism Automodernity from Zizek to Laclau-Palgrave Algrave macmillian, USA
• -Schivinski, Bruno; Dąbrowski, D. (2013). "The Effect of Social-Media Communication on Consumer Perceptions of Brands". Working Paper Series A, Gdansk University of Technology, Faculty of Management and Economics 12 (12) : retrieved june 5, 2013, from http : //www. zie. pg gda. pl/c/document_library/get_file?uuid=9c3d9c80-2fd2-479b-9b6d-19727db13d18&groupId=10236
• Sfez Lucien, Offner Jean-Marc. Symbolisme des réseaux, idéologie de la communication - Un entretien avec Lucien Sfez. In : Flux n°16, 1994. pp. 78-84.
•Silvestre (2011) : Social media? Get serious! Understanding the functional building blocks of social media, Business Horizons, Volume 54, Issue 3, May–June, Pages 241–251
•stenger -Thomas & Coutant Alexandre (2010) : Les réseaux sociaux numériques : des discours de promotion à la définition d'un objet et d'une méthodologie de recherche ; HÉrmes – no 44-2010; p 209-228
•Sung Tae Kim and David Weaver (2002) : Communication Research About the Internet : a Thematic Meta-analysis; New Media Society, December ; 4; 518-538
•Van Loon Joost (1996) : Network, Culture & Society, May vol. 23 no. 2-3 PP 307-314

Scanned by DocumentScanner | Lufick

الإشكالية التي يثيرها هذا المنظور للفضاء العمومي لا تكمن فقط في شرط وجود هذا الجمهور القادر على الحكم والفعل تجاه ما يظهر في كل المجتمعات بصرف النظر عن مستوى تنظيمها الاجتماعي القائم على المساواة والكفاءات السياسية، بل تمتد إلى غائية هذا الظهور الذي من المفروض أن يكون خاليا من كل أهداف شخصية ونوايا خاصة. ولا يستهدف مصالح فئوية مرتبطة بالمال أو اللغة أو الدين أو العرق. فهل يرتبط الظهور في مواقع الشبكات الاجتماعية بالضرورة بالفعل السياسي الذي يدرك لكونه مرئيا وظاهرا للعامة ؟ سؤال جدير بالطرح إذا علمنا أن الأشخاص يتحولون في مواقع الشبكات الاجتماعية، بدون قصد، إلى مروجي سلع، وفي ذات الوقت إلى سلع يروجون لها عبر التسويق والاتصال. (Raymond : 2009)

استخدم مفهوم " رأسمال الاجتماعي" في أدبيات علم الاجتماع بكثرة نتيجة الاعتقاد بتفكك العلاقات الاجتماعية في الدول الغربية التي تعطلت فيها أدواتها للدمج أو التكافل الاجتماعيين أو تراجعت في ظل الأزمات الاقتصادية : هذا ما يعبر عنه ارتفاع عدد

•Venturini Tommaso (2012) : Great expectations : méthodes quali-quantitative et analyse des réseaux sociaux. In FOURMENTRAUX, Jean-Paul (dir.). L'Ère Post-Media. Humanités digitales et Cultures numériques. Paris : Hermannt, p. 39-51.

•Veraraet Gilles(2012) : Les médias globaux entre sphères publiques et modes de connexions; Actes des travaux du Comité de Recherche Sociologie de la communication; Congrès AISLF; Rabat, 6 au 12juillet 2012 -- P 189-200

•Zadie Smith (2010) : Generation Why? The new York review books, November 25,

•Zammar Nisrine (2010) : Les réseaux sociaux numériques; entre ancrage historique et nouvelles pratiques communicationnelles; la théorie de l acteur – Réseau en exprimentation In Communication des organisations; recherches récentes; Tome 1; l'harmattan

•Zizi Papacharissi. (2011) A Networked Self, Identity, Community, and Culture on Social Network Sites, Routledge

Scanned by DocumentScanner | Lufick

المعطلين عن العمل والمحرومين من سكن قار، ومن الخدمات الطبية، غير أن هذا المفهوم تحول في ظل بروز شبكة الانترنت واتساع استخدامها الاجتماعي إلى أداة تحليل وفهم المزاعم التي تنص على مقدرتها على استحداث علاقات اجتماعية جديدة (mercklé : 2004، 24). لكن الكثير من البحوث الأمبريقية حول استخدام الانترنت في الدول الغربية لم تستلم هذا المفهوم جاهزا، بل جعلت منه موضع مساءلة للوقوف على فاعليته في فهم ظاهرة الانترنت ومواقع الشبكات الاجتماعية. وقد توصلت إلى مجموعة من النتائج لعل أبرزها أن شبكة الانترنت لا تضعف رأسمال الاجتماعي ولا تغيره لكنها تقوم بدور إضافي في أي الاتجاهين إذ دمج بطرائق أخرى في الاتصال. (Papacharissi : 2011، 129). فهل قامت البحوث عن مواقع الشبكات الاجتماعية الافتراضية بالمساءلة ذاتها في البيئات الثقافية العربية التي تتباين وتتشابه في آن واحد ؟ فالرأسمال الاجتماعي، كما عرفه هو مجموعة من الموارد الحالية والمحتملة المرتبطة بامتلاك شبكة دائمة من أشخاص يعرفون بعضهم أو لهم معارف خارجيين، بهذا القدر أو ذاك، عن الشبكة المُؤَسِسة. بعبارة أخرى إنها تنتمي إلى مجموعة تتكون من مجمل العناصر التي لا تتمتع بمجموعة من الخصائص المشتركة فقط، والتي يمكن لأعضائها ذاتهم وغيرهم ملاحظتها، بل تتمتع، أيضا، بعلاقات دائمة ومفيدة.

(Bourdieu : 1980، ص 2)

تعاطت بعض البحوث التي تناولت مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية مع مفهوم رأسمال الاجتماعي كمعطى منجز، ورأته كتحصيل حاصل : أي أن الاشخاص يقتسمون، بالضرورة،

Scanned by DocumentScanner | Lufick

رأسمالا اجتماعيا بمجرد اشتراكهم في موقع من مواقع الشبكات الاجتماعية. وهذه الرؤية الكاريكاتورية التي لا تستند إلى أي دراسة أمبريقية تقفز على النقاش الدائر في الفضاءات الأكاديمية الغربية حول مقومات هذا المفهوم الذي يُبنى ويُعدل ويُهيكل الممارسة. لقد لخص الباحث الأمريكي كولمن (Coleman : 1990، 302) هذه المقومات في العناصر التالية : 1- التزام الفرد وتوقعاته الاجتماعية وعلاقات الثقة التي يتمتع بها من قبل أعضاء المجموعة. 2- قدرة الفرد على الحصول على الإعلام والمعلومات. 3- المعايير المقبولة من قبل الجماعة وأشكال العقاب التي تتخذها. 4- السلطات والمسؤوليات التي يتبوؤها كفرد في المجموعة. 5- نماذج التنظيم التي ينتمي إليها الفرد طواعية. فهل يملك الباحث في مجال مواقع الشبكات الاجتماعية المعطيات الأمبريقية التي تكشف عن مدى الثقة بين المشتركين في موقع اجتماعي ما ؟ ومدى قرب هؤلاء من بعضهم البعض في المجتمعات التي كان مفهوم الصداقة محصورا في علاقة الدم والنسب والولاء لمنطقة التي ينحدر منها الفرد. وبدأت الصداقات تقام على أسس مهنية وهواتية. في ظل هذا التحول هل تزداد فاعلية رأسمال الاجتماعي في استيعاب الإعلام والاتصال ؟ فما يفيدنا في كل هذه المقومات هي تلك المتعلقة بالإعلام والمعلومات. فالبحث عن مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية يفتقد الإجابة عن السؤال التالي : كيف يحصل المواطنون في هذا البلد أو ذاك على الأخبار والمعلومات، وبأي قناة تصلهم ؟ وهل تستنبت مواقع الشبكات الاجتماعية رأسمالا اجتماعيا من العدم أو تعيد تشكيله ضمن شبكة واسعة من العلاقات ؟

Scanned by DocumentScanner | Lufick

يمكن أن نستنتج مما سبق أن المفاهيم ليست أداة محايدة لملاحظة الظواهر المدروسة وتحليلها، بل تقدم تصورا وفمها يستمد، في الغالب، من مقاربة نظرية لها. فالمقاربة البنائية تتعاطى مع مواقع الشبكات الاجتماعية كجزء من الواقع الاجتماعي الذي يُعد في طور بناء متواصل وديناميكي. لذا تستعمل مقاربات منهجية تقوم على تأويل المشاركين لما يقومون به. وتعدد المقاربات يترجم تعدد الرؤية "للحقيقة العلمية"، كما يؤكد ذلك"(Mucchielli : 1996) الذي يرى أن هذه الحقيقة في العلوم الاجتماعية والإنسانية ليست ذاتها الموجودة في العلوم الدقيقة لأنها ذات طابع تعددي. فكل مقاربة نظرية "للواقع" ترتبط بغائية البحث العلمي. فهل يمكن أن نفهم غائية البحث العلمي حول مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية ؟

لا يمكن أن نستشف غايات هذا البحث من خلال الاكتفاء بالمفاهيم التي استعرضناها أنفا، ولا بالمقاربات النظرية التي ينطلق منها فقط، بل لابد من النظر إلى مقارباته المنهجية وأدواتها. فما هي المقاربات والأدوات التي اعتمد عليها بعض الباحثون لقياس تأثير هذه المواقع على الشباب، على سبيل المثال ؟ لقد استخدموا المنهج الوصفي والمسحي بالاعتماد على استبانة، وتوصلوا إلى تحديد بعض معالم الاستخدام : نسبة المشتركين في بعض المواقع، والمدة الزمنية التي يستغرقها المشتركون في استخدامها، وأماكن الاستخدام، وغيرها من المعلومات التي تؤكد فهما بسيطا للتأثير يختصر في الاستخدام ؟

يرى (Venturini : 2012) أن غزارة البيانات الرقمية المتعلقة بمواقع الشبكات الاجتماعية ومستخدميها جعلت المناهج التقليدية لمعالجتها غير مناسبة. فيبدو أن الدراسات الكمية والنوعية غير

Scanned by DocumentScanner | Lufick

قادرة على إدارة الكمية الرهيبة من البيانات عن تكنولوجيات الاتصال الحديثة ومستخدميها لأنها وجدت في عصر اتسم بندرتها. فعدد البحوث حول شبكة الانترنت في الدول الغربية، والولايات المتحدة الأمريكية تحديدا، التي تستخدم الدراسات الكمية المرتبطة بالنظرية الوضعية بدأت تتراجع، إذ يذكر أن نسبتها بلغت 26. 7 % في الفترة الممتدة من 1996 إلى 2000 مقارنة بالبحوث غير الكمية التي بلغت 72. 9%. (Tae Kim ، Weaver : 2002)

ويمكن تفسير هذا التراجع بالاقتناع بالفكرة التي مفادها أن مكونات ظاهرة مواقع الشبكات الاجتماعية لا يمكن رؤيتها عبر أدوات القياس، أي أنها على حد تعبير ميشيلي (Mucchielli : 1996) لا تملك مؤشرات قابلة للقياس مثل المكونات الكيماوية لمعدن ما. فهذه الظاهرة يجب بناءها فكريا انطلاقا من المعطيات الخام المتوفرة بكثرة من خلال توظيف المفاهيم والقدرات على اظهار المعنى الذي يمنحه الفاعلون لما يقومون به.

وغني عن القول أن الدراسات النوعية التي تناولت مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية قليلة جدا إن لم تكن نادرة، والسبب في ذلك لا يعود لهيمنة الفكر الوضعي في العلوم الإنسانية الذي ينفي الطابع العلمي والموضوعي للدراسات الكيفية لأنها تستغني عن التكميم، بل يرجع، أيضا، إلى التأثر الكبير بالتوجه الماركسي الذي يدرس الظاهر الاجتماعية انطلاقا من رؤية ماكرو سوسيولوجية. يبدو أن استهجان البحوث الكيفية في مجال الإعلام والاتصال، ومواقع الشبكات الاجتماعية يعود أصلا إلى جهل خصوصية علوم الإعلام والاتصال التي يتعمق فهمها بالإجابة

Scanned by DocumentScanner | Lufick

أولا عن سؤال : كيف ؟ وليس لماذا ؟ (Mucchielli : 1996). فالإجابة عن السؤال الأخير تنطلق من افتراض وجود علاقات سببية، بينما تعقد العلاقات وتشابكها بين التقني والاجتماعي، وبين الفرد والبنية الاجتماعية، وبين الاقتصاد والسياسية، وبين الثقافة والاتصال تنفي وجود علاقة رأسية : السبب والنتيجة في علوم الاتصال.

لقد شرع الكثير من الباحثين في الدول الغربية في التفكير في نشاطهم البحثي ضمن رؤية نقدية وانتهوا إلى القول أأن النظريات السابقة عن المجتمعات المعاصرة خاطئة ومضللة، لذا نحن بحاجة إلى إعادة التفكير في معظم التعارضات الثقافية التي صقلت الفكر الغربي منذ بداية العصر الحديث ؛ أي بعبارة أدق لا يمكننا أن نبني تحليلنا للثقافة، والهوية والتكنولوجيا انطلاقا من الصراع بين الخاص والعام، والفاعل والموضوع، والإنسان والآلة. (Samuels : 2009)

وبصرف النظر عن مدى دقة هذا الحكم، نتساءل متى يحين الانشغال بالتفكير في أدوات التفكير العلمي في الاتصال والإعلام في المنطقة العربية كشرط أساسي لتطور البحث.

Scanned by DocumentScanner | Lufick